وظيفةُ الاستبدال و أثرُه في النصّ النبويّ بنيةً ودلالةً حديث "فوات الصلاة" أنموذجًا

The substitution function and its effect in the structure of the Prophetic text and in its meaning the Hadith of "Fawat Assalat" as a model

د -عبد الحميد بوترعه [1,*]

[1] جامعة الوادي , (الجزائر) - hamid752007@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2020/01/20 **تاريخ المراجعة**:2021/01/24 **تاريخ النشر**: 2021/06/30

- **ملخص**:

نعملُ في هذا المقال على الكشف عن رابطة الاستبدال وصُوَرها المختلفة، ودورها في النصّ النبويّ في تحقيق الترابط بين مكوّناته، والاتّساق في بنيته، والانسجام في دلالته لاسيما أنّها تتمّ على المستوى النحويّ والمعجميّ داخل النصّ، فكانت هذه الدراسة تُسلّطُ الضوء على حديث "فوات الصلاة" الذي اتّخذناه أنموذجًا للكشف عن حضور هذا الرابط ودوره في تلاحم بنية الحديث النبويّ وانسجام دلالاته.

الكلمات المفتاحية: استبدال; الحديث النبويّ; الاتّساق; دلالة; الصّلاة

Abstract:

This article aims at revealing the various forms of the connector of substitution and its role in the Prophetic text in achieving consistency between its components, coherence in its structure and cohesion in its significance, especially at the grammatical and lexical level within the text. This study sheds light on the Hadith of "Fawat Assalat" as a model to reveal the presence of this connector and its role in the cohesion of the structure of the Hadith and the coherence of its meaning.

***key words**: substitution; prophetic hadiths; cohesion; meaning; prayer*

***المؤلف المراسل .**

أوّلاً- مقدّمة:

بُغْية كشف الترابط البنيوي للنصّ يتبّع المتلقّي سلسلة من الإجراءات الوصفيّة والتصنيفيّة والإحصائيّة لإبراز الأنساق النصيّة المؤدّية لوظيفة الربط بداية من الجملة الثانية في المنجز الكلامي، إذ يكون هدفه توصيف كيفية تشكيلها ووسائل هذا التشكيل وهي المعروفة في نحو النص بأدوات الاتساق.[1] وأقوال العلماء حول هذه الأدوات المحققّة للتماسك النصي متعددّة، وتشهد اختلافا في غالبها على الرغم من أنّ هناك أدوات مشتركة بينهم وهذا مؤشّر كبيرٌ على أهميّة تلك الأدوات الرئيسة للتماسك . ولعلّ من أبرز تلك الأقوال هو قيام الاتّساق (Cohesion) على خمس أدوات هي: الإحالة(Reference) ، الاستبدال(Substitution) ، الحذف (Ellipsis)، الوصل(Conjunction) ، الاتساق المعجمي (Lexical Cohesion)[2]

فَمِنْ هذه الأدوات ما يُسَمّى "الاستبدال"، الوسيلة النصيّة العاملة على تحقيق الترابط النصي، وإنْ كانت تختلف شيئًا ما عن الإحالة النصّية في جوانب، وتتقارب بلْ تتطابق معها أحيانًا في جوانبَ أخرى، حتّ أنّ بعض الدارسين مَنْ عَدَّهَا - الاستبدال - فرعًا من فروع الإحالة لعملها على تعويض عنصر لغويّ بعنصر لغويّ آخر، ويحلُّ محلّه، في حين ذهب آخرون إلى عدّها متضمّنة في الأداة الاتّساقية الثالثة (الحذف)، لاختفاء العنصر المحذوف وإحلال محله العنصر البديل، الاستبدال أثري والحذف استبدال صفري.[3]

نُحَاول إذن في هذا المقال الكشف عن رابطة الاستبدال، وصُورها المختلفة ، ودورها في النص النبويّ في تحقيق الترابط بين مكوّناته، والاتساق في بنيته، والانسجام في دلالته فاتّخذنا حديث "فوات الصلاة" أنموذجًا لهذه الدراسة لعلّ من خلاله تتبيّن مدى فاعلية رابطة الاستبدال في تحقيق تماسك بنية هذا الحديث كنموذج للحديث الشريف وأثرها الدلالي.

وهذا بطرْح جملة من الإشكالات :

-ما مفهوم الاستبدال لغة واصطلاحًا ؟ وما هي أنواعه ؟

-ما دور الاستبدال في تماسك النصّ ؟

- ما هي صُوَرُ الاستبدال في حديثه صلّى الله عليه وسلّم حول فوات الصلاة و أثره في تماسك بنيته، وانسجام دلالته؟

ثانيًا. مفهوم الاستبدال:

1- لغةً :

الاستبدال مصدر على وزن (استفعال) من الفعل (استبدل) المزيد بثلاثة أحرف الهمزة، والسين، والتاء، وأصله (بدل). ذكر ابن منظور: «بدل القراء: بَدْل وبِدْل لغتان، وَمثلٌ و مِثْل، وشَبه و شِبْه، ونَكَل ونِكْل...والبديلُ: البَدَل . وبدلُ الشيء: غيره...

وتَبَدّل الشيء وتبدَّل به، واستبدله و استبدل به، كلُّه: اتّخذ منه بدلاً. وأبْدَل الشيءَ بغيره وبدَّلَه اللهُ من الخوف أمنًا...واستبدل الشيء بغيره و تبدّلَهُ به إذا أخذه مكانه.

والمُبَادلة: التبادُلُ . والأصل في التبديل تغييرُ الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعْل الشيء مكان شيءٍ آخر »[4].

والاستبدال هو عملية تقتضي استبدال مقطع لغوي بمقطع لغوي آخر ضمن مرسلة، بحيث أنّ هذه الأخيرة تبقى مقبولةً دلاليًّا ونحويًّا، وبحيث أنّ تغيير الدالاّت يقود إلى تغيير المدلولات، مثال: يتمّ الاستبدال بين (د) و (ج) في (دار) و (جار).[5] وفي البلاغة إحلال صفة أو اسم وظيفة أو لقب مكان اسم العلم، أو هو استعمال اسم علم للتعبير عن فكرة عامة، نحو استعمال كلمة (الفاروق) بدل (عمر بن الخطاب) ونحو إطلاق عبارة (عنتر زمانه) على من اشتهر بالقوّة والشجاعة .[6]

فالاستبدال إذن ينطلق من (البدل) ويدور مفهومه حول اتّخاذ البدل والتغيير، جعل الشيء مكان شيء آخر.

2- اصطلاحًا:

الاستبدال عند علماء اللغة النصيّين لا يماثل الإبدال التابع في النحو العربيّ. فهو عند هاليداي ورقية حسن عملية تتمّ داخل النص، تعويض عنصرٍ في النص بعنصرٍ آخر. وهو علاقة اتّساق شأنه في ذلك شأن الإحالة مع اختلافه عليها أنّه علاقة تتمّ في المستوى النحوي-المعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنويّة تقع على المستوى الدلالي. وهو مِنْ جهةٍ أخرى وسيلة أساسيّة تُعْتمَدُ في اتّساق النص في داخله ؛ أيْ أنّه نصيّ.[7] والحديثُ عن الاستبدال يعني الاستمرارية الدلالية، أيْ وجود العنصر المستبدَل في الجملة اللاحقة بما يعوّضُه أيْ العنصر البديل. ومِنْ أمثلته قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ [8].

ففي هذه الآية استبدال كلمة (أخرى) -العنصر البديل- بكلمة (فئة) -المستبدَل- أيْ وفئة كافرة[9] .

- ومن الوسائل أو الأدوات التي يتم بها الاستبدال كلمات محددة مثل (واحد – يفعل – ذلك) **أو**(so، do، one) في الإنجليزية تحلّ محلّ كلمات أخرى مستخدمة في النص، ممّا يؤدِّي إلى ترابط أجزاء النص، وهذه الكلمات لا تكون ضميرًا شخصيًّا .[10]

كما أشار هاليداي ورقية حسن على أنّ العلاقة بين الاستبدال والحذف هي علاقة التضمين ،أيْ أنّ الاستبدال يتضمّن الحذف بمعنى أنّ الحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلاً من أشكال الاستبدال، حيث يكون الاستبدال بالصفر .(Substitution by zero) .[11]

أمّا علاقة الاستبدال بالإحالة فكلاهما وسيلة من وسائل الاتساق النصي بتعويض عنصر لغوي بعنصر لغوي آخر بينما الإحالة تتم على المستوى الدلالي، فالاستبدال يتم على المستوى النحوي، والإحالة تحيل أحيانا على أشياء خارج النص، بينما الاستبدال نصّي أيْ داخل النص ومعظم حالاته قبلية.[12] أيْ أنَّ جميع أمثلة الاستبدال هي استبدال داخلي (Endophoric) . أمّا الاستبدال الخارجي (Exophoric) فهو نادرُ الوقوع تمامًا، ويستخدم فقط (في المحادثة) عندما يريد المتكلم أنْ يحاكي العلاقة النصيّة ليُحْدِث تأثيرًا لشيء ما تمّت ملاحظته بالفعل وهذا نادرًا ما يحدث مثل: (التقطت أفضل واحدة من كلّ الورود في الحديقة، وأعطتها لي). فكلمة (واحدة) تشير إلى (الورود) استبدال داخل تركيب الجملة.[13]

ثالثًا. أنواعه:

للاستبدال ثلاثة أنواع هي:

1- الاستبدال الاسمي (Nominal substitution):

تُعبّر عنه الكلمات والعناصر اللغويّة مثل (واحد، نفس، ذات، آخر، آخرون).[14] ومثاله: (فأسي جدّ مثلومة . يجب أن أقتني أخرى حادّة)، فالعنصر البديل (أخرى) حلّ محلّ (فأس) المستبدل منه في الجملة السابقة لها.[15]

2- الاستبدال الفعلي (Verbal substitution):

ويعبّر عنه بالفعل البديل/الكنائي (pro -verb) (فعل) يقابل الفعل (do) في الإنجليزية، حيث يأتي إضمارًا لفعل أوْ لحدثٍ معيّنٍ أوْ عبارة فعلية ليحافظ على استمراريّة محتوى الفعل.[16] ومثاله: (هل تظنّ أنّ الطالب المكافح ينال حقَّه؟ أظنّ أنّ كلّ طالبٍ مكافح يفعل)، فالعنصر البديل هو الفعل (يفعل) حلّ محلّ المستبدل منه (ينال حقه)، فهذا الاستبدال فعلي.[17]

3- الاستبدال القولي (Clausal substitution):

هذا النوع ليس استبدالاً لكلمة داخل الجملة، ولكن استبدال لجملة بكاملها ويحل محلها العنصر البديل، وله مجموعة من الكلمات يتمّ بها مثل (هذا، ذلك) يقابلها في الإنجليزية كلمات مثل (So , Such) وتعبيرات مثل(do the same، do so) ، ومثاله :

-هل سيقامُ في المدرسة الحفل ؟ المدير قال ذلك. فالعنصر البديل (ذلك) حلّ محلّ جملة بأكملها السابقة لها (سيقامُ في المدرسة الحفل).

رابعًا- دور الاستبدال في تماسك النصّ:

هو وسيلة هامّة لإنشاء الرابطة بين الجمل بواسطة تعويض وحدة لغويّة بشكل آخر يشترك معها في الدلالة،[18] ممّا يترك استعمال الأشكال البديلة بقاء محتوى الوحدات والتراكيب المستبدلَة في حالة نشطة خلافًا لشكل إخراجها في عالم النصّ[19]. أيْ أنّه يعمل على تحقيق الاستمرارية الدلالية في ظلّ وجود العنصر البديل بشكل ما في الجملة اللاحقة محلّ المستبدل على الرغم من عدم المطابقة بينهما .[20]

كما أنّ مساهمة الاستبدال في الاتساق النصي واضحة في استحالة فهم ما يعنيه العنصر البديل ك (آخر، يفعل، واحد) إلاّ بالعود إلى ما هي متعلّقة به قبليًّا، فتأويل العنصر الاستبدالي يحتّم على القارئ البحث في مكان آخر في النص عمّا يرتبط به ويحلّ محلّه.[21]

خامسًا- نصّ الحديث النبويّ :

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النبيّ ε إِذْ سَمِعَ جَلَبَةَ رِجَالٍ فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: « مَا شَأْنُكُمْ ؟». قَالُوا اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلاَةِ. قَالَ « فَلاَ تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا ».[22]

1- المعنى الإجماليّ للحديث:

في هذا الحديث الشريف أمرٌ بالسّكينة في الإقبال إلى الصلاة وترك الإسراع إليها.[23] والحكمة في إتيانها سكينة، والنهي عن الإسراع إليها أنّ الذاهب إلى صلاة عامد في تحصيلها، ومتوصّل إليها فينبغي أنْ يكون متأدّبًا بآدابها وعلى أكمل الأحوال، والنهي عن الإتيان إلى الصلاة على استعجال يتناول جميع أوقاتها، وأكّد ذلك قوله ρ

(فما أدركتم فصلّوا وما فاتكم فأتمّوا) تنبيه وتأكيد لئلاّ يتوهّم متوهّم أنّ النهي إنمّا هو لمن لم يخف فوت بعض الصلاة،

فصرَّح بالنهي وإنْ فات من الصلاة ما فات، وبَيّن ما يفعل فيما فات.[24] والأمر بالسكينة لا ينافي قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.[25] لأنَّ المراد بالسعي المضيّ والذهاب، لا الإسراع بدليل القراءة الشاذة وهي (امضُوا).[26]

إنّ ما لحق المأموم من الصلاة مع الإمام إنّه أوّل صلاته، فيؤخذ ذلك من قوله (فأتمّوا)، وتمام العمل هو آخره، لكنْ يعارض ذلك قوله ρ في حديث غيره (وما فاتكم فاقضوا)، فدلّ هذا إنّ الذي أدْرَكه المصلّي هو آخر صلاته، ويقضي ما فاته، والحديثان صحيحان، فاختلف العلماء في البناء والقضاء، وأحسن الوجوه من قال بالبناء والقضاء فيما ذهب مالك -رحمه الله- ومن تبعه قال: يكون بانيًا في الأفعال، قاضيًا في الأقوال لأنّ إعمال الحديثيْن خير من إسقاط أحدهما.[27]

2- البنية التركيبيّة للحديث النبويّ:

لقدْ قام هذا الحديث على الحوار الثنائي بين طرفين، محمد ρ وجماعة المصلِّين بمن فيهم أبي قتادة. إنّ هذا الحديث كونهُ نصًّا يمكن تقسيمه إلى جزئيْن أو مقطعيْن يشملان عدّة أجزاء أو تمفصلات:

- المقطع الأوّل: [بينما نحن نصلّي...رجال].

هذا المقطع جاء سردًا وإخبارًا، وهو بمثابة التمهيد للحوار المُشَكِّل للمقطع الثاني من الحديث الشريف، وقد انبنى على جملتيْن، ابتدأ بظرف الزمان (بينما)، ليحدِّد من خلاله الصحابي الجليل أبي قتادة السياق الزماني الذي كان فيه الحدث والحديث مع النبيّ ρ في هذا الموقف وهذه المناسبة، وهو موقف الصلاة وسماعه υ جلبَةً (أصوات الصحابة حال حركاتهم)،[28] فكانت دافعا له للدخول في حوار معهم إرشادا وتوجيهًا لهم بما يجب أنْ يفعلوه وما يتركوه.

- المقطع الثاني: [فلما صلّى قال:...فأتمّوا].

هذا المقطع مقطع حواريّ تَكَوّن من ثلاثة تمفصلات:

أ- سؤاله ρ للمصلِّين في قوله: (ما شأنكم؟) بجملة اسمية مُصَدَّره باسم استفهام (ما) سؤال عن حالهم أيْ حالكم حين وقع منكم الجلبة.[29]

ب- جوابهم - المصلِّين المسبوقين في الصلاة - (قالوا: استعجلْنا إلى الصلاة) جملة فعلية دلّتْ على الحركة والفعل الذي دفعهم لهذه الجلبة، وهو سرعتهم لأجل إدراك الصلاة صلاة الجماعة.

ج- توجيهه لهم ρ المتضمِّن نهيًا وأمرًا، شرطًا وجزاءً: إذْ استهلّه بالنهي في قوله (فلا تفعلوا)، فقدْ نهاهم ρ عن الاستعجال وقد عبَّر عنْ ذلك بهذا الفعل (تفعلوا) للمبالغة في النهي عنه.[30]

ثمّ يتّجه ρ ليوجّههم إلى ما يقوم به المصلّي في صلاته توجيهيْن متواليْن جاءا في صيغة شرط وجزاء (إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة)، (فما أدْركتمْ فصلُّوا وما فاتكم فأتمُّوا).

فأمّا الأوّل يرمي منه محمد ρ إلى ضرورة حضور السكينة في الإقبال إلى الصلاة، وترك الإسراع إليها[31]، بلْ جاء هذا الطلب أمرًا منه بصيغة (عليكم) في قوله (عليكم بالسكينة) اسم فعل أمر. قال الزركشي: هو بالرفع على الابتداء والخبر، وبالنصب على الإغراء أيْ الْزَمُوا السكينة، هذا برواية (فعليكم السكينة).[32] واسْتشْكَل دخول الباء (بالسكينة) كلٌّ من الزركشي والبرماوي إلاّ أنّ جواب ذلك أنّ الباء تُزَاد في مفعول أسماء الأفعال كثيرًا وإنْ كان حكمها في التعدي واللزوم حكم الأفعال التي هي بمعناها نحو (عليك به) لضعفها في العمل، فتتعدّى بحرف عادتُه إيصال اللازم إلى المفعول.[33]

أمّا التوجيه الثاني فقدْ تضمَّن الشرط والجزاء جاء مُكَوَّنًا من جملتيْن معطوفتيْن ترتبطان وصْلاً بالواو وحُكْمًا بالتعلّق بالصلاة (فما أدركتم فصلوا) و (ما فاتكم فأتموا) . قال الكرماني: الفاء جزاء شرط محذوف تقديره (إذا تبيَّن لكم ذلك فما أدْركتم فصلُّوا).[34] ففيه أمْرَان (صلُّوا) و (أتمُّوا) أمرٌ بالصلاة مع الإمام ما أدرك منها، وأمرٌ بإتمام المصلِّي وحده ما بقي منها.[35]

فهذا النصّ النبويّ بما يتكوّن به من مفردات وتراكيب، وما ظهر به من صيغ وأساليب يمكن تمثيله في المخطّط الآتي:

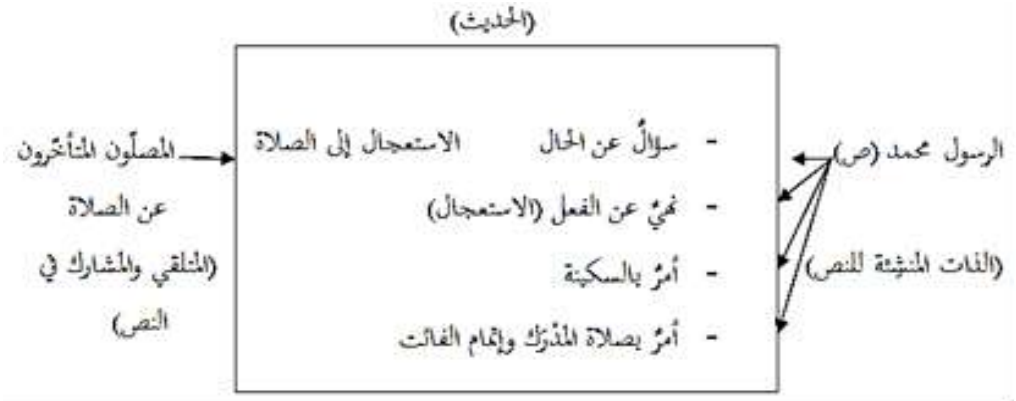

3- الاستبدال و أثرُه في الحديث النبويّ:

إنّ هذا النص الحديثيّ على قِصَرِه قدْ تنوّعتْ بنية مُكوّناته، وأنماط أساليبه وأشكال تعابيره في صُوَرٍ مختلفة بين السرد والحوار، السؤال والجواب، الشرط والجزاء، الأمر والنهي، وقدْ جاء متّسِقًا في مبناه بارتباط أجزائه وعناصره فضْلاً على الارتباط الدلالي الذي ساهمت فيه جملة من أدوات الاتساق الكثيرة العاملة على تحقيق ذلك التلاحم و التماسك، إذْ نقف هنا على أداة "الاستبدال " والدور الذي أدَّتْه في البنية النصيّة للحديث .

فحين نقرأ هذا النص النبويّ يستوْقفُنَا قوله ρ: (فلا تفعلُوا)، إذ استخْدم υ لفظ (تفعلوا) في سياق نهيه عن الاستعجال إلى الصلاة، إنّ هذا الاستعمال لصيغة الفعل (تفعلوا) شكْلٌ من أشكال ما سمّاه النصيّون "الاستبدال"، وهو علاقة اتّساق شأنُه في ذلك شأن الإحالة غير أنّه يتمّ على المستوى النحويّ- المعجميّ، بتعويض عنصرٍ لغويٍّ بعنصرٍ لغويٍّ آخر يكونُ بديلاً عنْهُ.[36] فأيّ نوع من الاستبدال في هذا السياق ؟ وما أثره في بنية الحديث ودلالته؟.

ورد الاستبدال في هذا النص الحديثي بصيغة (تفعلوا) وهو العنصر البديل. أمّا العنصر المُبْدَل فهو ما أراده الرسول ρ من نهيه هذا، وقد سبق ذكره في جملة جواب المصلّين الذين فاتتْهُم الصلاة (قالوا: استعجلْنا إلى الصلاة)، فجاء ردّه ρ بقوله (فلا تفعلوا) إذْ أنّ المقصود بقوله (تفعلوا) هو (لا تستعجلُوا)، وعَبَّر بلفظ (تفعلُوا) لا بلفظ (تستعْجِلُوا) كما قال الشنواني لأجل المبالغة في النهي عنه، أيْ النهيُ عن الاسْتعْجَال[37].

فالاستبدال الموجود في هذا النص هو استبدال فعلي، فهو يأتي إضمارًا لفعل أو لحدثٍ معيَّنٍ، أو عبارة فعلية ليحافظ على استمراريّة محتوى الفعل.[38] وهو استبدال فعلي لأنّه استبدال فعل بفعل، فعل سابق مُسْتبْدَل بفعْل لاحقٍ عنصرٍ بديلٍ ،عَبَّر عن الفعل السابق بصيغة الفعل المعروفة(تفعل).

إنّنا نلاحظ هنا ارتباطا نصيًّا من خلال ارتباط جملتيْن متواليتيْن الأولى منهما تضمَّنت العنصر المعوَّض (استعجلنا)، والثانية تضمّنت العنصر البديل أو المعوِّض (تفعلوا).

لا يمكن فهم العنصر البديل إلاّ بالرجوع إلى ما سبقه نظرًا للعلاقة القويّة والارتباط الكبير بين محوريْ الاستبدال العنصر المعوَّض والعنصر المعوِّض، هذا ما نَسج اتّساقًا نصيًّا على مستوى الجمل لا على مستوى الجملة الواحدة لاسيما أنّ الجملة الأولى جاءت جوابًا مرتبطًا بسؤال سابق له، وجوابه ρ ردٌّ أوْ تعقيبٌ على الجواب السابق له والمتعلّق بما قبله، فكأنّ هذا الاستبدال الفعليّ تجاوز حدود الجملة الواحدة، بلْ تجاوز الجملتيْن إلى أبْعد من ذلك، أيْ سلسلة الجمل المتلاحقة المرتبطة الواحدة منها بالأخرى .

فضْلاً على ذلك فهذا الاستبدال يؤشِّرُ إلى الاستمرار الدلاليّ والثراء المعجمي، فهو علاقة تتمُّ على المستوى النحويّ والمعجميّ ؛ ففعل الاستعْجال المُعوَّض فعلٌ بنمطٍ خاصٍّ بينما العنصرُ البديلُ (تفعلوا) صيغة فعليّة تتّسمُ بالعموم مع الاتّساع الدلاليّ، فهي تتضمّنُ قوّة النهي، نهيٌ عن الاستعْجَال، ونهيٌ عن السرعة، ونهيٌ عن الجرْي، وعن كلّ فعلٍ يمكنُ أنْ يُعَبِّرَ على الإخلال بالسكينة عند الإتيان إلى الصلاة . فالاستبدال إذنْ هاهنا استبدالُ العنصر الفعليّ بالعنصر الفعليّ المُطْلق أو العام الذي يتضمّنه ويحتويه.[39] نهي عن الإتيان إلى الصلاة باستعْجال وهو نهيٌ عامٌّ يستلزم نهيَ الخاصّ وزيادة وهو نهي للتنْزيه لا للتحريم.[40]

أضِفْ إلى هذا إنّ هذا الاستبدال زيادة على كوْنِه يُمَثِّلُ أداةً منْ أدوات الاتّساق النصيّ كمَا بيَّنَا، فهو وسيلةٌ بها يُحَقِّقُ مُنْشِئُ النصّ- محمد ρ - عَرْض فكرته العباديّة وتوجيهه النبويّ دون تكرار كلمات بعينها.[41] مع الاستمراريّة الدلاليّة للفعل المُعَوَّض في الجملة السابقة بالفعل المعوِّض في الجملة اللاحقة .

ويُمْكِنُنَا إجمال صورة هذا الاستبدال الفعليّ في المخطّط الآتي:

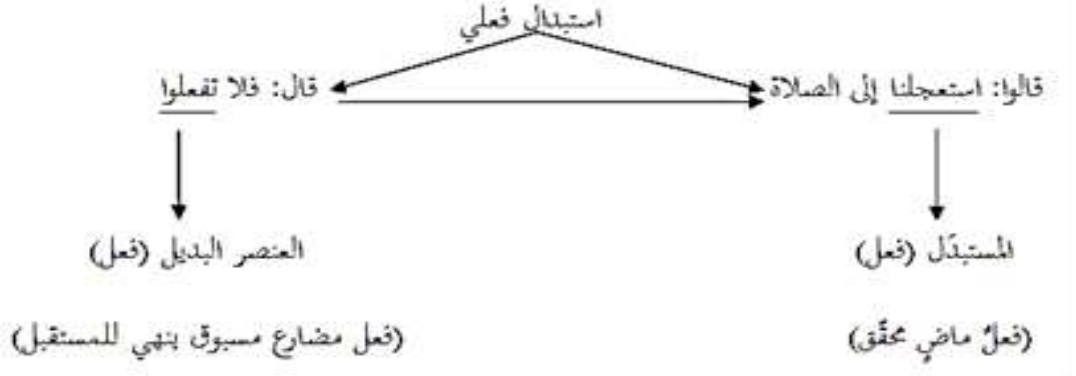

سادسًا- خاتمة:

من خلال هذه الدراسة توصّلنا إلى جملة من النتائج لعلّ أبرزها:

- إنّ هذا النصّ الحديثيّ على قِصَرِه قدْ تنوّعتْ بنية مُكوّناته، وأنماط أساليبه وأشكال تعابيره في صُوَرٍ مختلفة بين السرد والحوار، السؤال والجواب، الشرط والجزاء، الأمر والنهي، وقدْ جاء متّسِقًا في مبناه بارتباط أجزائه وعناصره فضْلاً على الارتباط الدلالي الذي ساهمت فيه جملة من أدوات الاتساق الكثيرة العاملة على تحقيق ذلك التلاحم و التماسك، من بينها أداة "الاستبدال "، التي كانت حاضرةً في صورة صيغة الفعل الكنائي (تفعلوا) التي استعملها صلّى الله عليه وسلّم، فأغْنَت عنْ إعادة ذكر القول، وإعادته بلفظه المطوّل. فهو لفظٍ قليلٍ في أحرفه، مُوَسَّعٍ بشموليته، مُكَثَّفٍ في دلالته، صورة من صور الإيجاز في أسلوبه صلّى الله عليه وسلّم ما يبلغُ به الكمال في البيان البشري، وهو من جوامع كلمه.

- إنّ الاستبدال الفعلي في هذا الحديث النبويّ الشريف بصيغة (تفعلوا) هو واحدٌ من أدوات اتّساق النصّ ، قدْ سَاهمتْ في تحقيق الترابط بين مكوّنات هذا النصّ الحديثيّ من حيث ارْتباط جملتيْن متواليتيْن، الأولى منهما تضمَّنت العنصر المعوَّض (استعجلنا)، والثانية تضمّنت العنصر البديل أو المعوِّض (تفعلوا). تشكّلان مقطعين من مقاطع الحوار بينه صلّى الله عليه وسلّم وصحابته الكرام، فالنصّ النبويّ قام في غالبه على الحوار، والحوار في معظمه قائمٌ على الإيجاز لأنّ الحوار الجيّد هو الذي يحتوي على ميزتيْن أساسيتيْن هما التركيز والإيجاز، فالعبارة الحواريّة الموجزة تمتلئ حيويةً، وأدْعَى إلى التأثير وبلوغ القصْد.

- الاستبدال الموجود في هذا النصّ هو استبدال فعلي، فهو جاء إضمارًا لفعل أو لحدثٍ معيَّنٍ، أو عبارة فعلية ليحافظ على استمراريّة محتوى الفعل. وهو استبدال فعلي لأنّه استبدال فعل بفعل، فعل سابق مُسْتبْدَل (استعجلنا)، بفعْل لاحقٍ عنصرٍ بديلٍ ،عَبَّر عن الفعل السابق بصيغة الفعل المعروفة(تفعل).

- لا يمكن فهم العنصر البديل إلاّ بالرجوع إلى ما سبقه نظرًا للعلاقة القويّة والارتباط الكبير بين محوريْ الاستبدال العنصر المعوَّض والعنصر المعوِّض، هذا ما نَسج اتّساقًا نصيًّا على مستوى الجمل لا على مستوى الجملة الواحدة لاسيما أنّ الجملة الأولى جاءت جوابًا مرتبطًا بسؤال سابق له، وجوابه صلّى الله عليه وسلّم ردٌّ أوْ تعقيبٌ على الجواب السابق له والمتعلّق بما قبله، فكأنّ هذا الاستبدال الفعليّ تجاوز حدود الجملة الواحدة، بلْ تجاوز الجملتيْن إلى أبْعد من ذلك، أيْ سلسلة الجمل المتلاحقة المرتبطة الواحدة منها بالأخرى.

سابعًا- المصادروالمراجع:

- نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري ، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، ط1، 2008م
- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006م
- صبحي إبراهيم الفقي، ،علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،القاهرة مصر،1431ه/2000م
- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دط، دت، بيروت، لبنان.
- ابن منظور(ت711ه)، لسان العرب، اعت وتص أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادة العبدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1419ه/1999م
- إنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، ،1417ه/1996م

- أحمد عفيفي، نحو النصّ اتّجاه جديد في الدرس النحويّ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة مصر، ط1، 2001م
- عزة شبل محمد، علم لغة النصّ، مكتبة الآداب علي حسن، القاهرة مصر، ط1430،2ه/2009م
- دي بوجراند، دريسلر، إلهام أبو غزالة، علي خليل الحمد، مدخل إلى علم لغة النصّ، مركز نابلس للكسور، مطبعة دار الكتاب، ط1413،1ه/1992م
- البخاري(ت256ه) ، الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، ترق وترت محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط1، 1430ه/ 2010م
- ابن بطال، (ت449ه)، شرح صحيح البخاري، ضبط وتعليق أبو تميم ياسر ابن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض السعودية، دط، دت
- ابن أبي جمرة الأندلسي، بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري، تح وتع عادل أحمد إبراهيم، مكتبة فياض للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1434،1ه/2013م
- النووي(ت676ه)، المنهاج شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة مصر، ط1347،1ه/ 1929م
- الشنواني، مختصر صحيح البخاري وبهامشه شرح الشنواني، مكتبة التراث الإسلامي ، دط، دت، القاهرة، مصر
- القسطلاني(ت923ه)، إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، القاهرة ، ط7، 1323ه
- السيوطي(ت911ه) ، عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبويّ، تح وتق سلمان القضاة، دار الجيل، بيروت - لبنان، دط، 1414ه/1994م
- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص"، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، لبنان، ط1421،1ه/2001م
- عيد محمد شبايك، الحوار في الحديث النبويّ تراكيبه وصوره، دار حراء، القاهرة، مصر، دط، دت
- عرفة عبد المقصود عامر، ظاهرة الاستبدال في نحو الجملة ونحو النص، تاريخ الإضافة 2014/9/2، تاريخ الاطّلاع 2020/06/15 شبكة الألوكة،www.alukah.net

هوامش وإحالات المقال

[1] ينظر: نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري ، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، ط1، 2008م، ص36

[2] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط2، 2006م، ص16

[3] ينظر: محمد خطابي ، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص19 – 21. و صبحي إبراهيم الفقي، ،علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،القاهرة مصر،1431ه/2000م، 199/2– 203. ومحمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دط، دت، بيروت، لبنان. ، ص91.

[4] ابن منظور(ت711ه)، لسان العرب، اعت وتص أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادة العبدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1419ه/1999م، 343/1

[5] إنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، ،1417ه/1996م، ص68

[6] إنعام نوال عكاوي ،المصدر نفسه، ص68

[7] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص19 – 20

[8] آل عمران ، الآية 13

[9] ينظر: أحمد عفيفي، نحو النصّ اتّجاه جديد في الدرس النحويّ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة مصر، ط1، 2001م، ،ص122-123

[10] عزة شبل محمد، علم لغة النصّ، مكتبة الآداب علي حسن، القاهرة مصر، ط1430،2ه/2009م، ص113

[11] عزة شبل محمد، المصدر نفسه، ص113. وصبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 199/2 – 203

[12] محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ص91

[13] ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص، ص115

[14] ينظر: عزة شبل محمد، علم اللغة النصي، ص114. وأحمد عفيفي، نحو النصّ ، ص123

[15] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص19-20

[16] عزة شبل محمد، علم اللغة النصي، ص114

[17] أحمد عفيفي، نحو النص، ص124

[18] أحمد عفيفي، المصدر نفسه، ص124

[19] ينظر: دي بوجراند، دريسلر، إلهام أبو غزالة، علي خليل الحمد، مدخل إلى علم لغة النصّ، مركز نابلس للكسور، مطبعة دار الكتاب، ط1413،1ه/1992م، ص98

[20] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص20

[21] محمد خطابي، المصدر نفسه، ص20-21.

[22] البخاري(ت256ه) ، الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، ترق وترت محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط1، 1430ه/ 2010م، ص81 – 82.

[23] ابن بطال، (ت449ه)، شرح صحيح البخاري، ضبط وتعليق أبو تميم ياسر ابن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض السعودية، دط، دت 259/2 – 260. و ابن أبي جمرة الأندلسي، بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري، تح وتع عادل أحمد إبراهيم، مكتبة فياض للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1434،1ه/2013م، 376/1

[24] ينظر: النووي(ت676ه)، المنهاج شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة مصر، ط1347،1ه/ 1929م، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، 99/5.

[25] سورة الجمعة، الآية:09.

[26] الشنواني، مختصر صحيح البخاري وبهامشه شرح الشنواني، مكتبة التراث الإسلامي ، دط، دت، القاهرة، مصر، ص95.

[27] الشنواني، المصدر نفسه، 378/1.

[28] القسطلاني(ت923ه)، إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، القاهرة ، ط7، 1323ه ، ، 19/2.

[29] القسطلاني، المصدر نفسه، 19/2.

[30] القسطلاني، المصدر نفسه، 19/2.

[31] ابن بطال، شرح صحيح البخاري، 259/2.

[32] السيوطي(ت911ه)، ، عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبويّ، تح وتق سلمان القضاة، دار الجيل، بيروت - لبنان، دط، 1414ه/1994م، 400/2.

[33] القسطلاني، إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، 19/2.

[34] السيوطي، عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبويّ ، 400/2.

[35] القسطلاني، إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، 20/2.

[36] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص19- 20 و أحمد عفيفي، نحو النص، ص122- 123.

[37] الشنواني، هامش مختصر صحيح البخاري ، ص93.

[38] عزة شبل محمد، علم اللغة النصي، ص114.

[39] ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص"، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، لبنان، ط1421،1ه/2001م، 143/1.

[40] ينظر: عيد محمد شبايك، الحوار في الحديث النبويّ تراكيبه وصوره، دار حراء، القاهرة، مصر، دط، دت، ص210 -211.

[41] ينظر: عرفة عبد المقصود عامر، ظاهرة الاستبدال في نحو الجملة ونحو النص، تاريخ الإضافة 2014/9/2، تاريخ الاطّلاع 2020/06/15 شبكة الألوكة، www.alukah.net، ص10.